معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأربعين النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني

حفظه الله

الدرس رقم (16)

التاريخ: السبت 1440/06/25 هـ

02/آذار/2019 م

الدرس السادس عشر من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى هو **الدرس السادس عشر والأخير** إن شاء الله من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحي بن شرف النووي رحمه الله.

الحديث التاسع والثلاثون

(المتن)

قال رحمه الله: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما).

هذا الحديث ضعيف لا يصح، روي من طرق عدة لكنها لا تثبت، وقد أنكرها -أي هذه الطرق- الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي رحمهما الله،

وأصح طريق روي منها هي طريق الحسن عن النبي ﷺ أي أنه حديث مرسل، والمرسل كما قال الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه: المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة، فالحديث ضعيفٌ لا يصح، لكن لا بأس بشرحه ما دام أن النصوص الشرعية جاءت بصحة ما فيه.

معنى الحديث الإجمالي: هو أن الله تبارك وتعالى قد تجاوز عن هذه الأمة، ونعني بالأمة القوم الذين أجابوا دعوة النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وآمنوا به صلوات الله وسلامه عليه، وهذا ما يسمى بأمة الإجابة، تجاوز أي عفا عنهم في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو **الخطأ**، والخطأ هو فعل الشيء من غير قصد.

الأمر الثاني: هو **النسيان**، وهو ذهول القلب عن شيء معلوم.

والأمر الثالث: هو **الإكراه**، والإكراه هو إلجاء الإنسان إلى قولٍ أو فعل وإرغامه عليه.

ومعنى عفا عنهم في هذه الثلاث أي أن الإثم مرفوعٌ عنهم فيها،

وقد دل على ذه نصوص كثيرة منها قوله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:286]،

فقال الله تعالى: قد فعلت، وجاء هذا في حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الإمام مسلم.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:5]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:106]، والنصوص كثيرة في إثبات رفع الإثم عن هذه الأمة في هذه الأمور الثلاثة المذكورة.

لكن ثمة تنبيه وهو أن الفعل الصادر من الإنسان في حق غيره ولو كان حاصلاً عن طريق الخطأ أو النسيان أو بالإكراه، فإن حق الغير لا يسقط عن الإنسان، أي عن مرتكب الفعل، الذي يسقط هو الإثم لأن الله عفا عنا في هذه الأمور، لكن ضمان المتلفات، إذا أتلف الإنسان مال غيره عن طريق الخطأ أو مثلاً تسبب في قتل شخص آخر عن طريق الخطأ مثلاً، فحق الغير لا يسقط، فيجب القصاص وكذلك ضمان المتلفات في هذه الحالات والله أعلم.

الحديث الأربعون

- المتن-

ثم قال النووي رحمه الله: (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي فقال :كُنْ في الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ.

وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حياتِك لِمَوتِكَ» رواه البخاري.)

هذا الحديث من الأحاديث التي فيها وصية النبي ﷺ لأصحابه، والوصية كما قلنا لا بد من حفظها والعمل بها؛ لأنها تكون في أمرٍ مهم.

أوصى النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما بأن يكون في هذه الحياة كالغريب أو كعابر السبيل،

والغريب معروف أنه من يأتي إلى بلد غير بلده لقضاء حاجته ثم يعود إلى دياره،

وعابر السبيل هو من يمر بالبلاد مرورًا دون إقامة، يعني إلى أن ينتهي من سفره، فيجتمع في الشخصين -في الغريب وعابر السبيل- أن أصحابهما لا ينويان الإقامة في البلد الذي حل بها، ومن لا ينوي الإقامة لا يعد لها العدة ولا ينشغل بها، بل يكون همه قضاء حاجته التي من أجلها سافر أو عبر البلاد، كذلك المرء المسلم يعلم أن الآخرة هي دار القرار والدنيا ممر يمر به الإنسان، فالعاقل يعد العدة لدار القرار ولا يعبأ بالممر، بخلاف من حرم التوفيق فإنه منشغلٌ بالدنيا ناسٍ أمر الآخرة، وكأنه خلق من أجل

الدنيا، وهذا مشاهدٌ خصوصًا في زماننا تجد الكثيرين بالهم منشغلٌ بالدنيا فقط، ويعد لها ويتهيأ لها وكأنه خلق لها، وفي نفس الوقت تجده ناسيًا أمر الآخرة فتجده يعني يضيع ما أمر الله به ويرتكب ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، ولا يرفع رأسًا بذلك.

لكن إن سألته ونظرت إلى حاله مع أمور الدنيا تجده مهتمًا بها غاية الاهتمام، وإن لم يوفق لفعل شيء يفتخر به أهل الدنيا، تجده منشغل البال ومهمومًا بذلك الشيء وكأنه بفواته انتهى أمره، فالعاقل والموفق الذي وفقه الله تبارك وتعالى يكون جلَّ همه الآخرة، ولكنه في نفس الوقت لا ينسى نصيبه من الدنيا، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:77]، فالإنسان يهتم بأمر آخرته ويتعلم ما ينجيه في آخرته وما يكون به فلاحه في الآخرة، وفي نفس الوقت يأخذ ما يحتاجه من هذه الدنيا وما يكون به قوامه، وما يتقوى به على أمر آخرته.

وابن عمر رضي الله عنهما كان يوصي بمقتضى هذه الوصية، فكان يقول يعني كما جاء في الحديث «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حياتِك لِمَوتِكَ» ، فابن عمر عمل بوصية النبي ﷺ وكان يوصي بها من بعده، وكان يوصي بها الذين هم حوله، فكان يقول لهم «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ»، يعني اغتنم وقتك، إذا همّت نفسك بفعل الطاعة فلا تسوف ولا تقول سوف أفعلها أو دع دع، سأفعلها في الصباح إذا كنت في المساء أو سأفعلها في المساء إذا كنت في الصباح لا، بل كما قيل: **إذا همت رياح الخير فاغتنمها، فخيرٌ من إضاعتها السكون**

أو كما جاء في البيت الشعري، فإذا هبت رياح الخير فاغتنمها يا أخي،

إذا حدثتك نفسك بقيام الليل فاغتنم هذه الإرادة التي جاءتك وقم الليل،

إذا حدثتك نفسك بالصيام صم، إذا حدثتك نفسك بحفظ كتاب الله تبارك وتعالى فافعل ولا تسوف، ولا تقل سأفعل،

نحن الذي يضيع علينا وقتنا من غير وقتنا هو التسويف، سأفعل كذا سأفعل كذا، هذا هو الذي يضيع على الإنسان وقته ويضيع على الإنسان جهده،

وكذلك الإنسان إذا كان واقعًا في معاصي وأراد أن يتوب منها فليتب من حينه ولا يقل سأنتظر، مثلاً شخص يكون لا يصلي ويريد أن يبدأ الصلاة فيقول سأنتظر يوم الجمعة وأبدأ الصلاة، لا، إذا كنت تاركا للصلاة -وهذا أمر خطير جدًا- وحدثتك نفسك أو جاء شخص ينصحك بالصلاة فابدأ من حينك، توضأ من حينك، إذا لم تكن على طهارة فتطهر وابدأ من حينك بالصلاة.

وكذلك الإنسان إذا كان مثلاً يدخن وأراد أن يتوقف من التدخين فليتوقف من حينه، ولا يقول أنتظر رمضان وفي رمضان أكون صائمًا ويساعدني هذا على التوقف من التدخين، لا، توقف من دقيقتك،

الإنسان لا يسوف، الخير افعله متى همت نفسك به وانشرح صدرك له، والإنسان لا بد أن يكون دائمًا حذرًا من الموت، ملك الموت قد يأتي في أي حين ويقبض روحك، فإذا حدثتك نفسك بالمعصية فتذكر أنك قد تموت على تلك المعصية، وكذلك إذا أردت أن تفعل طاعة فاغتنم ذلك الوقت وقل قد يأتي الموت ولا أتمكن من فعل هذه الطاعة، أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما فيه الخير.

الحديث الحادي والأربعون

المتن

ثم قال النووي رحمه الله تعالى: (عن أبي محمدٍ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»؛ حديثٌ حسنٌ صحيح، رويناه في (كتاب الحجة) بإسنادٍ صحيحٍ.)

قال ابن رجب رحمه الله: تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جدًا، وذكر رحمه الله في شرحه على الأربعين أوجه ضعف هذا الحديث، والحديث ضعيف كما قال ابن رجب رحمه الله.

هذا الحديث نظيره قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، ومعناه أن الإيمان الكامل لا يحصل حتى يقدم المرء طاعة الله وطاعة رسوله على هواه، حتى يقدم طاعة الله وطاعة رسوله على هواه إن كان مخالفًا لهما، وهذا هو الواجب، الواجب أن تحب الله تبارك وتعالى ورسوله أكثر من محبتك لنفسك، وبهذه المحبة إذا تعارض ما أمرك به الله تبارك وتعالى وأمرك به رسوله ﷺ مع هواك ومع ما تريد أنت فعله، فإنك ستقدم أمر الله ورسوله على هواك؛ لأنك تحبهما أكثر من محبتك لنفسك، وحينئذٍ تستكمل الإيمان.

الحديث الثاني والأربعون

المتن

ثم قال النووي رحمه الله: (عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِكُ بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صحيح).

قال ابن دقيق رحمه الله: في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل

والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان، **انتهى كلامه رحمه الله.**

وهو حقٌ وهو كما قال رحمه الله.

قوله تبارك وتعالى: «إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ»

معناه أنك متى سألتني المغرفة ورجوت مني أن أغفر لك، فسأغفر لك ذنوبك مهما كانت، لكن لا بد أن ننبه إلى أن الكبائر لا بد لها من توبة، والتوبة لها شروط:

- أولها: الإقلاع عن المعصية، فلا تنفع توبة وأنت واقع في المعصية، لا بد من الإقلاع عنها.
- الشرط الثاني: الندم على ما فات، أن يندم الإنسان على ما فعله من معصية.
- الأمر الثالث: أن يعزم على ألا يعود إليها، لا بد أن يعزم الإنسان وأن يكون جادًا في عدم العودة إلى المعصية، وهذا هو الشرط الثالث.
- الشرط الرابع: هو إن كان هذا الذنب وهذه المعصية تتعلق بحق آدمي، فلا بد من أدائه والتحلل منه، إذا سرقت شيئًا من شخص وتريد التوبة فلا بد من إعادة هذا المسروق لهذا الإنسان مثلاً مع الشروط الثلاثة السابقة.

ثم قال تبارك وتعالى: «يَا ابْنَ آَدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ»

أي ما ظهر من السماء، لو بلغت ما ظهر من السماء لكثرتها ثم استغفرت الله تبارك وتعالى لغفر لك، فانظر أخي إلى سعة رحمة الله وعظيم مغفرته، وهذا مما يزيد الإنسان محبةً لله تبارك وتعالى؛ لأنه سبحانه أمرنا بطاعته ومع ذلك عصيناه ثم طلبنا منه المغفرة فغفر لنا، فأي فضل وأي رحمة هاته.

لذلك يظهر لنا أن الإنسان لا بد دائمًا أن يكون لسانه رطبًا بالاستغفار، لا بد للإنسان أن يكثر من الاستغفار كما كان النبي ﷺ، النبي ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة، فالإنسان لا بد أن يعود لسانه على الاستغفار، وأنت تمشي في الطريق ذاهب إلى أمورك استغفر الله، إذا كنت جالس في الطابور وتنظر شيئًا ما استغفر الله، إذا كنت مثلاً تقوم بعمل ما فاستغفر الله تبارك وتعالى.

ثم قال تبارك وتعالى: «يَا ابْنَ آَدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِكُ بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً»

وهذا فيه فضيلة التوحيد وأنه سببٌ لتكفير الذنوب مهما كثرت، يعني لو بلغت ذنوبك قراب الأرض، ثم لقيت الله تبارك وتعالى لا تشرك به شيئًا لغفر لك سبحانه وتعالى، وهذا فيه فضل التوحيد، وأن حسنة التوحيد حسنةٌ عظيمة جدًا لا تدانيها حسنة، يعني ولا يقابلها ذنب إلا غفره الله تبارك وتعالى.

وكما نبهنا أن الكبائر لا بد لها من توبة حتى تغفر، فالإنسان لا بد أن يحرص على توحيد الله تبارك وتعالى، ويحرص على تعلم التوحيد وتعلم ما يضاده من الشرك حتى لا يقع فيه، فلا يكفي تعلم التوحيد

فقط بل لا بد أن يتعلم الإنسان التوحيد ويتعلم الشرك حتى يجتنبه،
فمن لا يعرف الشرك قد يقع فيه.

النووي رحمه الله ختم لنا بهذا الحديث حتى يبين لنا سعة فضل الله تبارك وتعالى ورحمته، وكذلك يبين لنا أهمية التوحيد وأهمية الإخلاص لله تبارك وتعالى وأنه سببٌ لمغفرة الذنوب.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذا الشرح المختصر للأربعين النووية،
نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بهذا الشرح، ونحمده سبحانه أن وفقنا لإنهائه وإتمامه، ونسأله سبحانه أن يوفقنا للعمل بما تعلمناه،

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمن استمع لشرحنا هذا وتجاوز عنا، واجعلنا مع الصديقين والشهداء والصالحين،

وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.